ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١١٤) - اعرف امامك ج١٣
صحائف العقيدة السليمة - القسم(7)
الصحيفة (٣) - قيّمة الدين (ق٢)
-الامامة
-آية التطهير
الاثنين : ١٣/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٦/٤/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

هذا هو الجزء الثاني من صحيفتنا الثالثة؛ (قيمةُ الدِّين فَاطمَة صلواتُ الله وسلامهُ عليها).

في هذه الحلقة سأذهبُ بكم إلى أطول سورةٍ في القُرآن إنَّها (سورةُ البقرةَ)، وحيثُ جاء في آياتها ما يرتبطُ بموضوع الإمامة، أتحدَّثُ عن الإمامةِ في جذرها في أصلها.

هناكَ مثالٌ واضحٌ في سورة البقرة عن الإمامة؛ **إنَّها إمامةُ الخليلِ إبراهيم.**

في الآيةِ الرابعة والعشرين بعد المئة بعد البسملة من سورة البقرة: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ** - إبراهيمَ هنا مفعولٌ به - **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ** - وربّهُ هنا هو الفاعل - **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، أنا لا أريدُ أن أقفَ عند تفاصيلِ الآيةِ من أوَّلها إلى آخرها وإنَّما أخذتُها مثالاً على أصلِ الإمامةِ كي أدخلَ من خلالها إلى المطلب الَّذي أريدُ بيانهُ في هذه الحلقة.

إذاً هناك كلماتٌ، وهذه الكلماتُ هي الَّتي ترتبت عليها إمامةُ إبراهيم، قطعاً ليس المرادُ من الكلمات ألفاظاً بما هي ألفاظ، وإنَّما المرادُ حقائق، هذه الحقائقُ تُنبئُ عنها كلمات، هذه الـ حقائقُ تُنبئُ عنها عناوين، هناكَ عناوين، هناكَ رموز، هناكَ إشارات تُنبئُ عن عظيم الحقائق الَّتي على أساسها جعلَ اللهُ إبراهيم إماماً.

بحسبِ أحاديث العترة الطاهرة فإنَّ هذه الكلمات هي في أصلها كلماتُ أبينا آدم، في نفسِ سورة البقرة في الآيةِ السابعة والثلاثين بعد البسملة في سياق قُصَّة نزول أبينا آدم وأمنا حواء إلى الأرض، إنَّها الآيةُ السابعةُ والثلاثون بعدَ البسملة من سورة البقرة: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾، وكلماتُ أبينا آدم معروفةٌ عندنا: (**يَا مَحْمُودُ بِحَقِّ مُحَمَّد، وَيَا عَالِي بِحَقِّ عَلِيّ، وَيَا فَاطِرُ بِحَقِّ فَاطِمَة، وَيَا مُحْسِنُ بِحَقِّ الحَسَن، وَيَا قَدِيمَ الإِحْسَانِ بِحَقِّ الحُسَين**)، هذه التعابيرُ رموزٌ وإشاراتٌ تنبئُ عن عظيمِ الحقائقِ الَّتي تَعانق عقلُ وقلبُ أبينا آدم معها.

﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ ، هذه الكلماتُ الَّتي كانت أساساً لمنزلة أبينا آدم، ولأجلها سجدَ الملائكةُ كلهم أجمعون، سجدوا جميعاً، ولأجلها صارَ آدمُ في المنزلة الَّ تي صارَ فيها، هذه الحقائقُ، هذه المضامينُ وهي في الحقيقة العقيدةُ السليمةُ بالنسبة لهم، بالنسبة لأبينا آدم، بالنسبة للخليلِ إبراهيم، هي العقيدةُ السليمةُ بالنسبة إليهم.

في كتاب (الخصال) لشيخنا الصدوق / المتوفى سنة ٣٨١ للهجرة / الروايةُ تبدأ صفحة (٣٣٥)، رقم الحديث (٨٤)، النَّص الَّذي أريدُ قراءتهُ عليكم صفحة (٣٣٦): بعد ذكرِ السند، **عَن المفضَّل بنِ عُمر عن الصَّادقِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّد صلواتُ الله عَلَيهِما قَالَ: سَأَلْتُهُ** - من الَّذي يقول؟ المفضَّل بن عمر يسأل الإمام الصّادق - **قَالَ: سَأَلتُه عَنْ قَولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ"، مَا هَذه الكَلِمَات؟ قَالَ: هي الكَلِمَاتُ الَّتي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّه فَتَابَ عَلَيه، وَهُو أَنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّد وَعَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَين إِلَّا تُبْتَ عَلَيَّ، فَتَابَ اللهُ عَلَيه إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم، فَقُلْتُ لَهُ: يَابنَ رَسُولِ الله فَمَا يَعني عَزَّ وَجَلَّ بِقَوله: "فَأَتَمَّهُنَّ "؟** - ماذا تقول الآية؟ ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾ - **فَقُلْتُ لَهُ: يَابنَ رَسُولِ الله فَمَا يَعني عَزَّ وَجَلَّ بِقَوله: "فَأَتَمَّهُنَّ"؟ قَالَ: يَعني فَأَتَمَّهُنَّ إِلَى القَائم، فَأَتَمَّهُنَّ إِلَى القَائم اثْنَا عَشَرَ إِمَاماً تِسْعَةٌ مِنْ وُلْد الحُسَين** - إلى آخرِ الرواية.

الَّذي يظهرُ لنا وبشكلٍ واضحٍ وصريح من خلالِ التدقيقِ في الآيَة ومن خلالِ التدقيقِ في الأحاديث الشريفة، وما هذا الحديثُ إلَّا أنموذج، فهناك الكثيرُ من الأحاديثِ الَّتي ترتبطُ بهذا الموضوع، ترتبطُ بهذه الآيةِ بشكلٍ خاص أو أنَّها ترتبطُ بموضوعِ الإمامةِ الَّذي تحدَّثت عنهُ آيةُ إمامةِ إبراهيم.

من كُلِّ ذلك ينتجُ عندنا: **من أنَّ الملاك الَّذي تأسَّست عليه وتفرَّعتْ منهُ إمامةُ إبراهيم هذه الكلمات.**

هذا واضحٌ وواضحٌ جِدَّاً: (**فَأَتَمَّهُنَّ إِلَى القَائم**)، هذا لا يعني أنَّ أبانا آدم لم يكن عارفاً بأسمائهم، فإنَّ اللهَ قد علَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها، القضيةُ ليست بحدود الألفاظ، القضيةُ بحدود إدراك مستوى من مستويات الحقائقِ والمعارف، وحينما أتحدَّثُ عن إدراك الأنبياء فإنَّ إدراكَ الأنبياء لهُ خُصوصيةٌ، هناكَ نوعُ تواصل لِ يكون عندهم مع الحقائق الَّتي يدركونها بنحوٍ يتناسبُ مع ذواتهم ومع مقاماتهم، القضيةُ تتجاوزُ مجرَّد انطباع صور لمعلومات في الأذهان، هناك ما هو الأبعدُ والأعمق، وإلَّا فإنَّ أبانا آدم كان مُلَمَّاً بالأسماء ومُلمَّاً بتفاصيل ما يرتبطُ بتلك الأسماء، فإنَّ اللهَ علَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها وبعد ذلك سجدت الملائكةُ لأبينا آدم، هذه القضيةُ واضحةٌ صريحةٌ بيِّنةٌ في آيات الكتاب وفي أحاديث العترة الطاهرة، القضيةُ ليست في الألفاظ، القضيةُ في ما وراء هذه الألفاظ، هذه الألفاظُ وهذه الأسماءُ إشاراتٌ ورموزٌ تُشيرُ إلى حقائق، وبالنسبة للأنبياء فإنَّهم يتواصلونَ معَ تلكَ الحقائق بمستوى آخر من الإدراك والبصيرة، لا أتحدَّثُ عن قضيةِ تعلُّمٍ وتعليمٍ من انتقال معلومة مجرَّدة كي تتحوَّل إلى إشارات ذهنيّة ترسمُ لنا صورةً معلومةً تُناسبُ ما نحنُ عليه من ا لإدراك ومن التعليم والتعلُّم، القضيةُ أعمقُ من ذلك، نحنُ نتحدَّثُ عن أنبياء علمهم يتفرَّعُ عن مجالي الاسم الأعظم، ولذا الرواياتُ حين تُحدِّثنا عن الأنبياء تُخبرنا من أنَّ النَّبي الفلاني لديه حرفان من حروف الاسم الأعظم، ونبيٌ آخر لديه أربعة حروف من حروف الاسم الأعظم وهكذا، فالقضيةُ تتجاوزُ ما نعرفهُ عن العلم بالنسبة لنا من أنَّ العلم هو انطباعُ صورة المعلومة، صور المعلومات في أذهاننا، في مُخيلتنا العلمية، القضيةُ تتجاوزُ هذه المعاني، على أيِّ حال.

فَملاكُ إمامةُ إبراهيم الخليلِ هذه الكلمات، الآيةُ واضحةٌ: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾، فحينما تمَّت هذه الكلمات تحقَّقت إمامةُ إبراهيم في نفسه.

لابُدَّ أن نلاحظ أموراً:

الأمرُ الأول: إمامةُ إبراهيم إمامةٌ عارضة بالقياسِ إلى إمامة مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، فإبراهيمُ ما كانَ إماماً وإنَّما صارَ إماماً بعد أن تحقَّق ملاكُ إمامته، ملاك إمامته هو أن تمَّت الحقائقُ عنده، لذا نحنُ عندنا في الروايات الشريفة عنهم صلواتُ الله عليهم؛ (من أنَّ الله اتَّخذَ إبراهيم عبداً قبل أن يتَّخذهُ نبياً، واتَّخذهُ نبياً قبلَ أن يتَّخذهُ رسولاً، واتَّخذهُ رسولاً قبلَ أن يتَّخذهُ خليلاً، واتَّخذهُ خليلاً قبل أن يتَّخذهُ إماماً)، فالقضيةُ تدريجية، ولذا قُلت من أنَّ إمامة إبراهيم كإمامه سائر الأنبياء إنَّها إمامةٌ عارضةٌ، حينما يتحقَّقُ الملاكُ في ذواتهم تتحقَّقُ إمامتهم.

الأمرُ في مُحَمَّد وآل مُحَمَّد مُختلفٌ جِدَّاً، إمامتهم ذاتيةٌ، إمامةُ إبراهيم ملاكها ولاء مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، أمَّا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد فليس هناك من ملاكٍ عارض، هم بما هم أئمَّةٌ من البداية إلى النهاية، (**إنَّ اللهَ خَلَقَ المشيْئَةَ بِنَفسهَا وَخَلَقَ الأَشْيَاءَ بالمَشيئة**)

المشيئةُ الحقيقةُ المُحَمَّديَّة مرّ الكلامُ في هذا، لَمَّا تجلَّت هذه المَشيئةُ في أسمائها العظمى في مُحَمَّد وآل مُحَمَّد في عالمنا الأرضي تجلَّت بنفس المستوى الَّذي تجلَّى اللهُ فيها، تجلَّت فيهم بنفس المستوى، فلم يكن الأمرُ تدريجياً وإنَّما كانَ تجلياً واحداً، كانَ دُفعةً واحدة، وهذا ما يظهرُ من آية التطهير، إذا دقَّقنا النظر في آية التطهير الَّتي تُحدِّثنا عن روح إمامتهم، روحُ الإمامةِ هو العصمة، وأنا أتحدَّثُ هنا عن عصمةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الَّتي تختلفُ اختلافاً كبيراً عن عصمةِ سائرِ الأنبياء..

المضمون الَّذي نقرأهُ في الزيارة الجامعة:

في (مفاتيح الجنان): **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُورَكُم وَطِيْنَتَكُم وَاحِدَة** - ليس هناك من تدرّج - **طَابَت وَطَهُرَت بَعْضُهَا من بَعْض، خَلَقَكُم اللهُ أَنْوَاراً** - فإمامتهم وعصمتهم وطهارتهم هي في تجلٍ واحد، وحتَّى هذا التفريق هو لأجلِ التوضيح، إمامتهم هي عصمتهم هي طهارتهم.

هناك تجلٍ واحد بتعبيرٍ تقريبي: **دفعةٌ واحدة.**

بينما في الأنبياء وإبراهيم جاء هنا في سورة البقرة جاء مثالاً يُقرِّب لنا الفكرةَ عن الإمامة وعن حصولها للأنبياء، فهي تأتي بنحوٍ تدريجيٍ ولها ملاك وهذا الملاكُ (مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد)، والقضيةُ أيضاً في النُبوَّة، النُبوَّةُ كذلك، ما من نبيٍ نُبئ إلَّا وقد نُبئ بنبوَّة مُحَمَّدٍ وولاية عليٍ والأئمَّة، هذه المضامينُ من بديهيات ثقافتنا في أحاديث العترة الطاهرة.

في الكافي الشريف / صفحة ١٩٦ / الحديثُ الرابع / وهذا الباب عنوانهُ (بابُ طبقات الأنبياء والرسل والأئمَّة): **عَن جَابِرٍ** - إنَّهُ جابرٌ الجعفي - **عَن أَبِي جَعفَرٍ** - إنَّهُ الباقرُ صلواتُ الله عليه - **قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُول** - جابر يُحدِّثنا عن إمامنا الباقر، ماذا يقول - **إِنَّ الله اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً وَاتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولاً وَاتَّخَذَهُ رَسُولاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيْلاً وَاتَّخَذَهُ خَلِيْلاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ إِمَامَا، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ هَذِهِ الأَشْيَاء، وَقَبَضَ يَدَهُ** - كأنَّ الإمام صلواتُ اللهَ وسلامهُ عليه كان يُعدِّدُ بأصابعه، فلمَّا تمَّ الكلام قبض يده.

فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ هَذِهِ الأَشْيَاء، وَقَبَضَ يَدَهُ - الإمام - **قَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيم، إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَاً** - بعد أن جُمعت لهُ هذه العناوين، بعد أن تمَّت لهُ الكلمات - **قَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَاً، فَمِن عِظَمِهَا فِي عِينِ إِبْرَاهِيم** - من عِظَمِ الإمامة في عينه فهي رتبةٌ أعلى من العبودية الَّتي كانَ عليها، من النُبوَّة، من الرسالة، من الخلَّة - **فَمِن عِظَمِهَا فِي عِينِ إِبْرَاهِيم قَالَ: يَا رَبِّ، وَمِن ذُرِيَّتِي؟** - هل ينالون هذه المرتبة؟ - **قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين.**

واضحٌ من هذه الرواية وغيرها فإنَّ إبراهيم نالَ الإمامةَ بالتدرج، ومن خلال كُلِّ المعطيات المتقدِّمة فإنَّ ملاك إمامة إبراهيم؛ (عقيدتهُ السليمةُ بحسبه، معرفتهُ السليمة بحسبه)، وهو الَّذي سيأتي ربهُ بقلبٍ سليم، ﴿**إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ ومرَّ الحديثُ عن هذا..

ومن سورة الفاتحة وسورة البقرة أنتقلُ بكم إلى سورة الأحزاب الَّتي تشتملُ على آية التطهير:

إنَّها الآيةُ الثالثةُ والثلاثون بعد البسملة من هذه السورة، حُشرت هنا على أيِّ حال، نحنُ والمصحف الَّذي بين أيدينا: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، الآيةُ واضحةٌ جِدَّاً في طهارتهم، وا لطهارةُ هنا تكونُ بأوسع معانيها، وأعظمِ تجلياتها، هذه الآيةُ تتحدَّثُ عن طهارتهم الَّتي تُخبرُ عن عصمتهم، الَّتي تخبرُ عن علمهم، طهارةٌ مُطلقة تُنبئُ عن عصمةٍ مُطلقة، تُنبئ عن علمٍ مطلق.

أقفُ عند الآية بعض الشيء بحسبِ ما يسنحُ به المقام:

"**إِنَّمَا يُرِيْدُ اللَّهُ**"؛ هذه (إنَّما) هي للحصر، وهذا أمرٌ معروفٌ لا حاجةَ أن أُطيلَ الوقوف عند هذه النقطة، (فإنَّما) يعرفها أهل العربية وأهلُ الأدب العربي هي للحصر، للحصر يعني لوضعٍ سياجٍ خاص وبعنايةٍ تامة لما يأتي بعدها، هذا هو الحصر.

"**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**"؛ إرادةٌ مطلقةٌ في كُلِّ ما يُمكن أن تنطبق عليه المعاني لهذا العنوان (إرادةُ الله)، ما يرتبطُ بأصل الإيجاد، ما يرتبطُ بالتكوين، بالتشريع، ما بينهما، ما دونهما، كُلُّ هذه العناوين ليست مهمةً، إنَّ اللهَ يريدُ وهذه الإرادةُ إرادةٌ مُطلقة تشتملُ على كُلِّ هذه المعاني وعلى غيرها، هذه الإرادةُ لا يعلمُ بحقيقتها إلَّا الله وإلَّا هم صلواتُ الله عليهم، الله وهم يعلمون حقيقةَ هذه الإرادة، لأنَّ الإرادة هذه هي صلتهم بالله وصلةُ الله بهم، فأنَّى لي ولغيري أن يُدرك أبعادها.

"**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُم**"؛ الإذهابُ الإزالةُ الكاملة.

"**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ**"؛ ماذا يُذهبَ عنهم؟ "**الرِّجْسَ**"؛ الرجسُ في اللغة بالدرجة الأولى القَذرُ الماديَّ، عودوْا إلى معاجم اللغة، الرجسُ في معاجم اللغة بالدرجة الأولى القَذرُ الماديَّ، وبالدرجة الثانية القَذرُ المعنوي..

- **نحنُ الآن إذا أردنا أن نتصفح الكتاب الكريم كي نبحث عن معنى الرجس في قرآننا.**

إذا ما ذهبنا إلى سورة التوبة:

في الآية الخامسة والعشرين بعد المئة من سورة التوبة: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾، الحديثُ في الآية الَّتي قبلها: ﴿**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ**﴾ ، أعودُ إلى الآية الَّتي هي موطنُ الشاهد وهي الخامسةُ والعشرون بعد المئة من سورة التوبة: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** - مرض القلوب حالةٌ معنويةٌ، ليس الحديثُ هنا عن مرضٍ جسديٍ عن مرضٍ ماديٍ، الحديثُ هنا عن حالة معنوية - **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** - حالةٌ معنويةٌ هذه - **فَزَادَتْهُمْ رِجْساً** - قذارةً معنويةً - **إِلَى رِجْسِهِمْ** - إلى قذارتهم المعنوية - **وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾، فها هو القرآنُ يستعمل الرجس بمعنى القذارة المعنوية، والآيةُ واضحة جِدَّاً، أنا اخترت الآيات بانتقاء وإلَّا فإنَّ القُرآنَ استعمل هذه اللفظة الرجس في مواطن كثيرة،

والمقامُ لا يسعُ للحديثِ عن كُلِّ ذلك وإنَّما سأذهبُ إلى ما يرتبطُ بحديثنا في هذهِ الحلقة، ما يتعلَّقُ بآيةِ التطهير، فهذهِ الآيةُ بشكلٍ واضح استعملت الرجس في القذارةِ المعنوية.

إذا ما ذهبنا إلى سورة الأنعام:

وفي الآيةِ الخامسة والأربعين بعد المئة بعد البسملة من سورة الأنعام: ﴿**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ** - الحديثُ عن طعام والطعامُ شيء مادّي - **قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ**﴾، قذارةٌ مادية الآيةُ واضحة، ﴿**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ**﴾ الحديثُ عن طعام، ما هي المصاديق؟ (ميتة، دمٌ مسفوح، لحم خنزير).

يُذكِّرنا هذا بسفاهة مراجع النَّجف الَّذين يُصدرون الفتاوى بنجاسة دمِ المعصوم، الدمُ نجسٌ أو دماً مسفوحاً فإنَّه رجس لكنَّ القُرآن طهَّرهم عن هذهِ النجاسات، فكلمةُ الرجس بحسبِ القُرآن تدلُّ على القذاراتِ المعنويةِ والقذاراتِ المادية.

﴿**أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً** - هنا انتقل الكلام إلى القذارة المعنوية، وهذه قرينةٌ واضحةٌ على أنَّ (رجس) هنا في القذارة المادية - **فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾، الإهلالُ لغيرِ الله بالذبائحِ وبالأطعمةِ بما هو هو قذارةٌ معنوية، ما هو بقذارةٍ مادية، الطعامُ يكونُ قذارةً ماديةً إذا كان محرماً..

هناك آيةٌ في سورة المائدة:

وهي الآيةُ التسعون بعد البسملة هذهِ الآيةُ تشتملُ في الوقتِ نفسهِ على قذاراتٍ معنويةٍ وعلى قذاراتٍ ماديةٍ واستعمل القُرآنُ الرجس في آيةٍ واحدة وفي لفظةٍ واحدة، وفي سياقٍ واحد.

في الآيةِ التسعين بعد البسملة من سورة المائدة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ ، الآيةُ جمعت بينَ القذاراتِ الماديةِ والقذاراتِ المعنوية، الخمرِ من القذاراتِ المادية، والميسر (القمار) من القذارات المعنوية، وإلى بقيّةِ التفاصيل، الأنصاب ما يُذبحُ عندها منَ القذاراتِ الماديةِ، وطُقوسها من القذاراتِ المعنوية، وكذلك الأزلامُ أيضاً، فاستعمالُ الأزلامِ هو نحوٌ من أنحاءِ المقامرةِ قذارةٌ معنوية، ولكن ما يُؤخذُ من لحومِ الذبائحِ سيكونُ من القذاراتِ المادية، فهذه الآيةُ جمعت بين القذاراتِ الماديةِ والمعنوية في آنٍ واحدٍ، فالخمرُ بما هو خمر بما هو سائل قذارةٌ ماديةٌ، وما يترتبُ على تناوله يد خلُ في القذاراتِ المعنوية، وهكذا في بقيّةِ التفاصيل.

أعودُ إلى آيةِ التطهير إلى آيتنا العزيزة وهي الثالثة والثلاثون بعد البسملةِ من سورةِ الأحزاب: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ**﴾، الرجسَ هنا عنوانٌ للقذاراتِ الماديةِ والقذاراتِ المعنوية.

وأمّا إذا أردنا أنَ نُحلِّلَ هذا العنوان: (الرجس)، فهذا العنوان يشتملُ على جزأين:

رجس مع ألف لام التعريف، معَ (أل التعريف).

أل التعريف ؛ في البلاغة والأدب حكايتها حكاية حكايةٌ طويلة، هناك أل التعريف الَّتي يُقال لها الجنسية نسبةً إلى الجنس، الجنسية، الجنسُ الَّذي يشتملُ على الأنواع في تصنيف الأشياء وإحصائها وعدها وتبويبها.

- فهناك (أل) الجنسية وهي على أنواع.
- وهناك (أل) العهدية وهي على أنواع.

فـــ(أل) الجنسية:

- منها (أل) الحقيقية الَّتي تدخلُ وتُعطي معنى الحقيقة.
- ومنها الاستغراقية للأفراد، لأفراد الجنس على نحو الحقيقة.
- ومنها الاستغراقية للخصائص وحتَّى للأفرادِ بنحوِ المجاز.

وهناك (أل) العهدية:

- هناك: العهدُ الذكري.
- هناك: العهدُ العلمي، وقد يُقالُ لهُ العهد الذهني المعهود ذهناً، المعلوم ذهناً.
- وهناك: العهدُ الحضوري.

وهناك (أل) الزائدة.

وهناك (أل) الموصولة.

وهناك (أل) الَّتي تأتي نائبةً عن الإضافة.

وهناكَ، وهناكَ حكايةٌ طويلةٌ، ليس المقامُ لتناولِ هذا الموضوع وإن كان نافعاً ومفيداً، لمعرفةِ مضامينِ آيات الكتاب، لمعرفةِ مضامينِ أحاديثهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، لكنَّ البرنامج ما هو للحديثِ في مثلِ هذهِ المطالب.

أعودُ إلى كلمة: الرجس.

الرجس معرّفة بالألف واللام، هذه الألفُ واللام من النوع الجنسي، ويمكن أن تكون لتعريف الحقيقة أو لاستغراقِ الأفراد والأنواع.

فإذا كانت لتعريف الحقيقة: يعني أنَّ الله سُبحانهُ وتعالى يريدُ أن يُذهب حقيقة الرجس عنهم صلواتُ الله عليهم.

وإذا كانت للاستغراق: فهذا يعني أنَّ الله سُبحانهُ وتعالى يريدُ أن يُذهب عنهم كُلَّ أنواع الرجس، وهذا يعني إذهابٌ لحقيقةِ الرجس الَّذي يظهرَ بكُلِّ أنواعه.

كيف نُميِّزُ بين (أل) الَّتي تدلُ على الحقيقة وبين (أل) الَّتي تدلُ على استغراقها استيعابها لكُلِّ الأفراد لكُلِّ الأنواع؟

أهلُ الأدبِ هكذا يقولون وهم يصيبون في ذلك، يقولونَ: من أنَّ (أل) الجنسية لا نستطيعُ أن نحذفها ونترك محلّها كلمة (كل)، لا يستقيم المعنى، بينما (أل) الاستغراقية بإمكاننا أن نحذفها وأن نترك مكانها كلمة (كل).

حينما نقرأ هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ كُلَّ رِجْسٍ) ، الآيةُ يستقيمُ معناها، فالألفُ واللام للاستغراق، كُلُّ أنواع الرجس الَّتي ذُكِرت في القُرآن، والَّتي هي في لغة العرب، وأنواعُ الرجس ماديةٌ ومعنوية.

فهذه الألف واللام من النوع الجنسي للاستغراق والشمول والاستيعاب.

حينما وصل الحديثُ إلى هذا المستوى من التطهُّر هم مُطهَّرون من كُلِّ أنواع الرجس، فلا معنى للنقاش بعد ذلك من أنَّ نساء النَّبي يدخلن في الآية أو لا يدخلن في الآ ية، لأنَّ الآيات واضحةٌ من أنَّ نساء النَّبي ما هُنَّ بمطهَّرات، في نفس السورة في سورة الأحزاب، في الآية الثلاثين بعد البسملة من سورة الأحزاب: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ منكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**﴾ ، الفاحشةُ مُتوقعةٌ من نساء النَّبي، وإلَّا لما يُخاطبُ الله نساء النَّبي بهذا الخطاب؟! فاللاتي يتوقَّعَ منهنَّ أنْ يأتينَ بالفواحش لا يمكن أن ينطبق معنى التطهُّر من كُلِّ أنواع الرجس عليهم، مستحيلٌ هذا ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ** - لكُلِّ نسائه من دون استثناء - **يَا نِسَاء النَّبِيِّ** - للجميع - **يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ منكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾ ، ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً**﴾ ، ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ**﴾، هذا النهي يعني أنَّ هذا الأمرَ يصدر منهنَّ، فأين هذا من معنى التطهُّر المطلق من كُلِّ أنواع الرجس في بُعده المادي وفي بُعده المعنوي.

﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** - وعائشةُ خالفت هذا الأمر وخرجت على جملها إلى البصرة، وهذا مصداق واضح - **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾، هذا يعني أنَّ هذه المعاني تصدرُ من نساء النَّبي، وهناك ما هو الأكثر.

إذا ما ذهبنا إلى الآية الثالثة والخمسين بعد البسملة من سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا لَا تَدْخُلُوْا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاه** - غير ناظرين إناه يعني نُضجهُ - **وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوْا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوْا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ** - سألتم نساء النَّبي - **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ** - لماذا؟ - **ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ ، بالنسبة للصحابة لا شأن لنا بهم، ولكن بالنسبة لنساء النَّبي - **ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** - فهل ينطبقُ معنى التطهير المطلق على هذه القلوب؟ الآيات واضحة، واضحةٌ جداً، فلا حاجة للنقاش في أنَّ الآية لا تدخل نساء النَّبي فيها، ما هي الآياتُ واضحةٌ، نساء النَّبي متوقعٌ منهنَّ أن تصدر الفواحش، وأيّ فواحش؟ فاحشة مُبينة الفاحشة المبينة يعني الزنا، فهذا يمكنُ أن يصدر من نساء النبي، كذلك يمكن أن يخضعن بالقول فيطمع الَّذي في قلبه مرض، كذلك يمكن أن يُخالفن أمر الله وأمر رسوله في قضية الاستقرار في البيوت وقد خالفتهُ عائشة بشكلٍ واضح، يمكن أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، ويمكن ويمكن..

"**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**"؛ هذا البيت هو بيت النبي؟ ما هو ببيت النبي، لماذا؟ إنَّني أتحدَّثُ عن البيت الجغرافي.

في السورة نفسها حينما كان الحديثُ عن نساء النَّبي: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ ، هذه البيوت هي بيتُ النَّبي، ولكنَّ السورة نسبت هذه البيوت إلى نسائه وجاءت بصيغة الجمع للتمييز عن البيت الَّذي سيذكر، وهو بيتُ مُحمَّد وآل مُحمَّد، بيتُ النَّبي الجغرافي الفيزيائي هو هذا؛ ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾، لماذا لم تتحدَّث الآيةُ عن البيت الَّذي جاء معنوناً بأهل البيت؟ لماذا لم يُذكَر حينَ ذُكرت نساء النَّبي؟ وإنَّما جاءت الصيغة هكذا؛ ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾، فهذه البيوتُ منسوبةٌ إلى نساء يمكن أن تصدر الفاحشةُ منهنَّ بحسب الآيات ويمكن ويمكن، فتلك بيوتُ نساء النَّبي، وهو البيتُ الجغرافي للنَّبي، أمّا هذا البيتُ فهذا البيتُ الحقيقي للنَّبي، فارقٌ بين البيت الحقيقي للنَّبي وبين البيت الجغرافي، الَّذي كانتَ تقطنهُ نساؤهُ اللاتي يمكن أن يرتكبن الفواحش، ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ منكُنَّ بِفَاحِشَةٍ**﴾، الآيةُ واضحة وصريحة.

وإذا ما ذهبنا إلَى الآية الثالثة والخمسين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوْا بُيُوتَ النَّبِيِّ** - إنَّها بيوتُ نسائه، لم يأتي الحديث عن بيت واحد، عن جمع، بينما هو في الحقيقة من الجهة الجغرافية هو بيتٌ واحد يشتملُ على غرف، على حُجر، على أقسام، على أجنحة، قولوا ما شئتم - **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ** - إنَّها بيوتُ النساء بيوت نسائه، إلى أن تقول الآية: **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ** - لا تدخلوا بيوت النَّبي - **ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾، لاحظوا الاتجاهات الَّتي تتحدَّثُ عنها الآياتُ بخصوص نساء النَّبي وبخصوص البيت الجغرافي للنَّبي.

ولاحظوا الاتجاه الَّذي تتحدَّثُ عنهُ الآيةُ آيةُ التطهير حينما تتحدَّثُ عن بيت لهُ خصوصيةٌ، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ ، أهلُ البيت من هم؟ مُحمَّدٌ، عَليٌّ، فَاطِمَة، حَسَنٌ، حُسَين، في زمانِ نزول الآية، وفي استمرارِ دلالتها، الداخلون فقط أبناء فَاطِمَة من المجتبى إلى القائم، هذا هو مضمونُ أهل البيت.

حينما نقول: (أهلُ بيت النَّبي) ، هذا الاستعمالُ ليسَ دقيقاً، هو استعمالٌ صحيح لأنَّنا حين نقول أهلُ بيت النَّبي نُخرِجُ النَّبي من هذا البيت، صحيحٌ هو سَيِّدهُ وإنَّما ننسبُ البيت إليه كي يتشرَّف البيتُ بالنسبة إلى مُحَمَّد، هذه مقاصدُ بلاغية، مقاصدُ أدبية، لكنَّنا إذا أردنا أن نتحدَّث بمقصد الحقيقة فإنَّ أهل البيت مُحَمَّدٌ أوَّلهم، هذا بيتُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، هؤلاء هم أهلُ بيت مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، حينما نقول إنَّهم أهلُ بيت مُحَمَّد تشريفاً للبيت لشرف مُحَمَّد صلَّى الله عليه وآله، هذه مقاصدٌ أدبية مقاصدُ بلاغية في التعابير، إذا كانَ الحديثُ بلسانِ الحقيقة أن نقول أهلُ بيت مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هم نفسهم مُحَمَّدٌ عَليٌّ فَاطِمَة وأبناءُ فَاطِمَة من المجتبى إلى القائم هؤلاء هم أهلُ البيت.

هناك مراتبٌ من أبنائهم، من شيعتهم يُلحقون بهذا العنوان تلكَ أمورٌ إضافية، أمورٌ تشريفية، الحديثُ ليس عن هذه الإضافات، حديثنا عن مُرَّ الحقيقة، مُرّ الحقيقة هو هذا، فأهلُ البيت عنوانٌ حقيقيّ، ما هو بمكانٍ جغرافيٍّ، بمكانٍ فيزيائي.

المكانُ الجغرافي عُبِّر عنه هنا:

- تارةً: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾.

- وتارةً: ﴿**لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ**﴾.